بالعربي

# النصر دائماً للشعوب

في ٢٧ يناير/ كانون الثاني ١٩٧٣ وَقّعت الولايات المتحدة الأمريكية على «اتفاقية باريس» التاريخية معلنة انكسار وانهزام قواتها الغازية في مواجهة الشعب الفيتنامي المقاتل بعد حرب استمرت ١٩ عاماً (١٩٥٤-١٩٧٣) بهدف احتلال فيتنام، قاتل الفيتناميون فيها الغزاة بأسلوبهم الخاص فتحقق لهم النصر وكرّسوا مبدأ رضوخ الغزاة لإرادة الشعوب...

وفي ١٩ ابريل/ نيسان ١٩٧٥ اخترقت مدرعات القوات الفيتنامية المحررة مقرات النظام العميل للولايات المتحدة في سايجون لتعلن الانهزام النهائي للإمبريالية الأمريكية في فيتنام، ولتترجم عملياً المبدأ الحتمي للسيادة الوطنية وحقوق الإنسان «النصر دائماً للشعوب»...

ولكن كيف وصل هذا الشعب المقاتل إلى ذلك النصر الذي سطّر اسم الشعب الفيتنامي في التاريخ بخطوط من نور... هذا ما يتجاهله الإعلام العالمي بهدف محو وصمة العار الأزلية التي لحقت بالقوات الأمريكية الأقوى في العالم، إلى حين تمحو هذه القوات عارها في حروب أخرى لم تتوقف منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا... فقادهم حظهم العاثر إلى حرب أخرى في العراق لا تقل شراسة وعنفاً وبموية عما واجهوه في فيتنام...

سنوجز هنا بعض أوجه التشابه بين الحرب الفيتنامية والحرب العراقية ضد الأمريكان؟!.

بدأت الولايات المتحدة حربها ضد الشعب الفيتنامي بقوات جوية وبرية وبحرية يصل عددها إلى ١٠٠ ألف جندي، إضافة إلى أعداد هائلة من قوات النظام في «سايجون»، وهي تقابل ما تسمى في العراق اليوم بـ«القوات العراقية»، مسلحة بأحدث أنواع الأسلحة، وأشدها فتكاً وتدميراً، فكانت فيتنام الديمقراطية تواجه أكثر من ٥٠٠ غارة جوية يومياً في عام ١٩٦٧، فتم تشبيه الأجواء الفيتنامية ببحيرة أمريكية تسبح بها الطائرات، وتم قصف كل مدن فيتنام من دون استثناء، مع التركيز على المناطق المأهولة بالسكان والمناطق الحيوية، فكانت حرب إبادة كاملة ضد الشعب الفيتنامي. ولكن المفاجأة التي أقرتها الوقائع المتتالية في تلك الحرب كانت على عكس ما توقعها خبراء الاستراتيجية السياسية والعسكرية في البيت الأبيض والبنتاجون، حيث ازداد انخراط الشعب الفيتنامي في صفوف المقاومة الشعبية الفيتنامية وازداد هذا الشعب إصراراً على الصمود وإلحاق الهزيمة بالعدو كلما ازدادت حملات الإبادة الأمريكية ضده... وهذا ما يحدث في العراق بالضبط منذ بدء الغزو والاحتلال مع التطور والتوسع السريعين والنوعيين في أعمال المقاومة... بالمقابل كانت الزيادة في الغارات الجوية والإصرار على قصف المناطق الآهلة بالسكان والمنشآت الحيوية المؤشر الأول على هزيمة القوات الأمريكية في فيتنام، وهذا ما يحدث في العراق... وبجانب الإبادة الجماعية للشعب الفيتنامي، كان الغرض من تلك الغارات هو تخفيف الضغط على المعارك الأرضية التي كانت تستنزف القوات الغازية بشدة، وهذا ما يحدث في العراق. أما الأهم من كل نلك هو ان الفيتناميين كانوا يسقطون مختلف الطائرات، المحملة بالنابلم والقنابل الكروية والحارقة والشديدة الانفجار، من على ارتفاع ٢٠ ألف متر تقريباً، حتى وصل عددها إلى ٣٠٠ طائرة في عام ١٩٦٥، وحوالي ٣٣٥٣ طائرة في عام ١٩٧٠، وهذا ما يحدث في العراق أيضاً.

ولكن رغم ان المقاومة الفيتنامية أكدت لجنرالات البنتاجون، حينها، ان كل القوة العسكرية الأمريكية لن تنتصر للوصول إلى فرض الاحتلال على هذا الشعب، فإن أصحاب القرار في البيت الأبيض ومراكز إدارة الاحتكارات الاقتصادية الأمريكية المتعاملة بإنتاج وترويج الأسلحة لم يرضخوا لهذا الأمر الواقع، كما لم يرضخوا للشارع الأمريكي الذي ظهر بالمظاهرات العاصفة احتجاجاً على الحرب وسياسة واشنطن والدعوة إلى عودة القوات الأمريكية من فيتنام، ولم يأخذوا في حسابهم مغادرة عشرات الالوف من الشباب الأمريكي لبلدهم هرباً من التجنيد... وهذا ما يحدث بالنسبة للحرب في العراق.

واعتبر البيت الأبيض انه أمام تحد مصيري، فأصبح كل شيء مباح في تلك الحرب، وتم تصعيد حملات الإبادة والقتل الجماعي بقصف الفيتناميين بالغازات السامة بجانب النابلم والقنابل العنقودية حتى لو كان في نلك إبادة للقوات الأمريكية الموجودة على الأرض، وأصبح الجندي الأمريكي «يقصف كل شيء يتحرك»... وهذا هو واقع الحال في العراق اليوم. أما البنتاجون فقد كان يهدف من وراء ذلك إلى إخضاع الشعب الفيتنامي وفرض الأمر الواقع عليه لإجباره بالقبول بسياسات واشنطن، كما كان يهدف إلى رفع الروح المعنوية في صفوف القوات الغازية في ميدان القتال، وخصوصاً بتلك العملية التي اطلقت عليها الإدارة الأمريكية اسم «النصر الكامل»، كما يفعلون اليوم في العراق تماماً... بجانب كل ذلك كانت الإدارة الأمريكية تريد أن تثبت للعالم انها لن تخضع للاحتجاجات، بل ستُصَعّد من العنف كلما ازدادت وتيرة الاحتجاجات...

أليس التاريخ يعيد نفسه، فالغزو الأمريكي وأغراضه واستراتيجياته، والعقلية التي تسانده والأداء الذي يقدّمه في العراق هو نسخة طبق الأصل من الحرب الفيتنامية... وفي الجانب الآخر لا تختلف قوة وعنفوان وشراسة المقاومة الوطنية العراقية عن تلك التي كانت تعمل على أرض فيتنام قبل أربعة عقود... فرغم ما يُمارس اليوم من تعتيم إعلامي على عمليات المقاومة، وما تمارسه القوات الغازية من إبادة جماعية بمختلف الوسائل ضد الشعب العراقي، لتشويه صورة المقاومة، إلا إن هذا الشعب يعمل بإصرار لا ينقطع ضد الاحتلال ولن يفيد الإدارة الأمريكية دستوراً تفرضه، كما لم يكن لتلك الانتخابات المشوهة، في يناير الماضي، من أثر في تخفيف أعمال المقاومة ضد قواتها.

إذن بقي أن ننتظر النتائج التي بكل تأكيد لن تكون مختلفة عن نتائج تلك الحرب في فيتنام، ومهما تعالوا على الحقيقة وتَنَكّروا لها، فإن النصر دائماً للشعوب... وكما قاتل الشعب الفيتنامي في معركة «ديان بيان فو» التي استمرت ٥٢ يوماً قبل ان تحسم تلك الحرب لصالحه، بعد ١٩ عاماً من القتال الضاري، فنحن ننتظر معركة «ديان بيان فو» العراقية لحسم النصر للعراق، ولن نَكِلَّ الانتظار مهما طال الزمن..

سميرة رجب

sameera@binrajab.com